

فَكَانَهَا بَيْتٌ

القفاز^(١)

ذهبت يوماً لزيارة صديق لي يدعي أرمان بعد انقطاعٍ طويلٍ سببهُ انهماكي بالاعمال التي كانت تستغرق جميع ساعات ايامي . ولما دخلت استقبلي بالبشاشة والاكرام ورأيتُهُ جالساً الى مكتبته وقد فتح فيها درجاً وكان يطالع الاوراق التي فيه فظهر لي لأول وهلة ان محتويات الاوراق لم تكن من التذكريات التي تسرّ بدليل ما ارتسم على وجهه من علامات الكد والاقباض . ولما كان بيننا من وحدة الحلال اخذت كرسياً وجلست بجانبه وعاد الى اوراقه ففتح غلافاً واذا فيه قفاز من الجلد الابيض الناعم وقد اغبرّ لونه بما دل على انه كان ملبوساً من قبل . ولما وقعت عين صديقي عليه اخذه ففرس فيه حيناً ثم اداز نظره الى الفضاء ورايت دمة كحبة بلور قد تفرقت من مقلته واندفع من صدره تنهدٌ عميق فطرح القفاز على المكتب ووضع فوقه ورقة كأنه يود ان يحجبهُ عن نظره . ثم التفت اليّ وقال ما كنت اود ان اقابلك ايها الصديق وانا في مثل هذه الحالة من الغم وضيق النفس ولست ادري لعل التقادير قد ساقتك اليّ لتشاركني في حمل سرّ هائل يمزق صدري وتخفف عني بعض ما التحمله بكلمات التعزية والاحاء . فقلت جبداً ذلك ايها العزيز فلو عرفت ما عندك ربما كنت اتمكن من فعل ذلك ولكنني اجهل تماماً سبب اغتمامك واخشى ان يكون في مجيئي اليك الآن ما يقطع حبل تذكاراتك او يعوقك عن تتبع افكارك ربما تود الافراد لاتباعها . فقال لا لا . لا حياة للانسان ان لم يكن له صديق صدوق يشاطره احزانه كما يقاسمه افراحه ولا سعادة له ان لم يصادف في صدر صديقه حاسة تغبطه في سروره

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وتعزيه في بلواه . وارى ان لا بد لي من اطلاعك على ما يكنه فؤادي فقد ضاق
عن احتمال وحده فشاركني ايها العزيز ومتى ادركت كنه الامر فابذل الجهد في
تأسيته اذا وجدت لذلك سبيلاً . ولما رأى في علامة الانتظار لسماح حديثه
واستعدادي للقيام بواجب الصداقة بدأ في حديثه فقال

جئت هذه البلدة من بضع سنوات اطلب فيها الرزق واتعاطى لمعيشتي صناعة
التصوير التي تعلمتها واقتنتها في اميركا . وعلمي الاختبار ان العامل مضطر الى
ترتيب محله وترتيبه بالمفروشات والاثاث لينال اعتبار القوم وثقتهم فانفتحت كل
ما كان عندي من النقود في استئجار هذا البيت ووز بين داخله كما ترى . ولما فرغت
من ذلك شمرت عن ساعد الهمة والنشاط ودأبت في العمل ولكن وجدت ان
صناعتي غير مرغوب فيها كثيراً هنا فلم اكن احصل من ورائها الا ما يكفي بعد
شق النفس للقيام بنفقاتي . ولم يكن من طبعي حب التغيير والتقل فصبرت على
مضض البلوى وانا اعلل النفس بتحسن الحالة في المستقبل القريب . ولم اكن
اخرج من بيتي الا نادراً لسببين اولهما الاتباه الى عملي والثاني التخلص من زيارة
الجمعات والتعرف بالناس خوف ان يكون في ذلك وقر على جبي لا استطيع حمله
ودامت الحال على هذا المنوال اشهرأ فضقت ذرعاً وكنت اقضي الساعات
ذاهلاً غائصاً في بحار الافكار لعل الله يفتح علي برأي تكون عاقبته تحسبن حالتي
بوجه من الوجوه . وأرقت ذات ليلة فجملت انقلب على فراشي وكما طلبت النوم
اراه مبتعد بعد حظي عني وتخيل لي ان سريري مستوقد تذيب حرارته جسدي
فنهضت الى غرفة ثانية لها جناح جلست فيه فهب في وجهي نسيم بارد انفس
صدري واعاد الي بعض رشدي . فلبثت مدة اراقب البيوت المجاورة لي واتأمل
في فحمتها ثم وقف نظري على نافذة البيت الذي بازائي لا يفصله عني الا عرض
الطريق فرايت من النافذة المذكورة غرفة داخلية منارة بضوء ضعيف علمت انه
شمعة وفي وسط الغرفة مائدة متوسطة الحجم عليها دواة وبعض اوراق وقد
جلست الى جانبها فناة لا تكاد تتجاوز الريع الثامن عشر من حياتها بيضاء

اللون هيفاء القوام مرتدية ثوباً ايض وقد انحدر على كتفها ذؤابتان من الشعر الاسود وكأن النور الضعيف زاد المنظر هيباً وخشوعاً فبات الفتاة كأنها ملكة قد هبطت من العلاء واستقرت في ذلك المقام . فاعترتني دهشة تركتني زمناً اتأمل في محاسن هذه الرؤية وانا كالمأخوذ . ولما أشبع نظري من مشاهدتها حوَّلت فكري لأرى ما اذا نفعنا فوجدتها تقرأ بعض تلك الاوراق المبعثرة امامها فتهز رأسها ثم تخط على بعضها كتابةً مختصرة مما يدل على انها غارقة في حل عقدة حسائية او في كتابةٍ خطيةٍ يضاهي خطأ امامها كانت تنظر اليه من حين الى آخر . وكأنها لم تتوقف الى ذلك الحلّ او لم ترضها تلك المضاهاة فكانت تتأفف فتمزق الورقة قطعاً صغيرة وتنهض فتغيب عن نظري مدةً في جوانب الغرفة ثم تعود الى كتابة غيرها فتعمل بها كما فعلت بالاولى . وبعد ان مزقت عدةً من الاوراق نهضت فجمعت كل الاوراق المبعثرة امامها وغابت ايضاً فغاب نور الغرفة وساد الظلام . فانتظرت نحو ساعة فلم يمد النور فتحققت ان ذلك الملك قد دخل في سبات النوم فعدت الى سريري وبعد افكار طويل بما رأيت نمت ايضاً

وما اصبح الصباح حتى قمت وليس امامي الا صورة الفتاة فكانها ملكة جميع عواطفني واسترقت لبي وشعرت اني وقعت في شرك الغرام . وذهبت في ذلك النهار اكثر من مئة مرة الى ناحية الجناح لعلني اتوقف الى مشاهدتها ولكن كانت نافذتها مغلقة فلم احصل على شيء من مراحي فزاد هيامي ولم اتمكن في ذلك اليوم من الاتباه الى شغلي اصلاً . وما صدقت ان خيم الظلام حتى وافيت الجناح فجلست وسواد الليل يخفيني وجعلت اراقب تلك النافذة مراقبة الصياد لكناس الغزال ولم اعلم مقدار الوقت الذي مكثته لانه كان في انتظاري ما يشغلي عن مراقبته غير انني ادركت قرب انتصاف الليل واذا بوميض نور قد لاح في الغرفة ثم زاد فرايت امامي مشهد البارحة بعينه وانتهى كما انتهى ذاك . ولكن ظهر لي في هذه الليلة ما لم يظهر لي من قبل وهو انني اعرف الفتاة بالنظر واني قابلتها مراراً من جلستها مرةً في محلي وقد جاءت تسألني عن ثمن بعض الصور وقد ابتاعت منها شيئاً . وشحذت الذاكرة

ايضاً فخيّل لي ان الفتاة كانت عند مقابلتها اياي تنظر اليّ نظراً جاذباً تنعبت منه اشعة نور او نار فكانها كانت تريد ان توصل الى قلبي معنى نظراتها او تبعث عن شيء ضمن صدري . وما كنت اهتم بذلك حينئذٍ لانهما كي في شغلي واقطاعي اليه عن كل امر سواه . ولكن في تلك الدقيقة عادت اليّ كل تلك الذكري وشعرت بحقيقة الحب وصرت اتمنى ان اقابل فاتنتي فاعتذر اليها عن عدم اكثرائي السابق وابذل امامها قلباً قد طفع بحبها وآلى ان يقف ذاته لخدمتها وعبادتها

فلما كان اليوم التالي جعلت ابحث سرّاً لاعرف شيئاً عن هذه الفتاة ومن تكون فعلت انها تدعى مرغريت وانها تقيم في ذلك البيت مع رجل شيخ يظن انه والدها وليس في البيت غيرها حتى من الخدم وان الرجل مريض لا يفارق المنزل البتة . اما مرغريت فانها تخرج بعض الاحيان لقضاء الحاجات الضرورية فقط وفي غير ذلك فهي لا تخرج ابداً ولا تفارق ذلك الشيخ

وقضيت نحو ثلاثة اسابيع اشتغل نهاراً بعلمي واعدت مساءً الى الجناح فارصد فيه تلك النافذة بشوق اشد من شوق الفلكي الى رصد النجوم وانا لا ارى زيادة ولا نقصاناً عما رايتُه في الليلة الاولى ولكني كنت اشعر بلذة غريبة وسرور عظيم من مجرد النظر الى مرغريت واتأسف كلما غاب النور لانه كان يندرنى بنياها عن مقلتي الى الليلة التالية . وكنت يوماً في اثناء عملي واذا يباي يقرع فتمتته ولا اقدر ان اضف ما حلّ بي من الدهش لدى مشاهدة الداخل وقد كان مرغريت بعينها . وكأنها قرأت بلحظة واحدة مجلدات الحب للخزونة في مكتبة صدري فاحمرت وجتاتها وطفحت مياه الجاذبية من عينها ولكنها تجلجت بقوة غريبة لا يملكها سوى هذا الجنس الفتان فظهرت رغبتها في ابتياع بعض الصور وانها قدمت لهذه الغاية . ولما رأته كاني غير فاهم كلامها قالت اذا كنت لا تريد ان تبيني مطلوبا فانا ذاهبة . فصمت بها قفي ايها الملك الطاهر فان كنت رأيت في ما يدل على عدم رغبتني في بيع صوري الحقيمة لك فذلك لانها وما يحويه محلي هذا مع حقارتها بل جسدي وما يحويه من الجوارح والمواظف والحيلة ملك لك وورهن ارادتك .

ودفعني الهيام الشديد فطوقت خصرها بذراعيّ وقذنتها الى مقعد اجلستها عليه وجثوت بجانبها . ولم تكن بضع دقائق حتى باح كلُّ منا للآخر بما يكنه له فؤاده من الحب غير اني كتمت عن مرغريت مراقبتي الليلية . وعلت منها انها رأني عند اول سكتاي في هذا البيت فالت اليّ ميلاً شديداً وجعلت تستطلع احوالي قرأت مواظبتي على العمل وسعيي وراء الصبح فزاد حبها لي ولم تحفّ عليها فأقني غير ان هذا الامر لم يقف في سبيل ميلها اليّ . وانها كانت تبالح في كتمان امرها خوفاً من ان اكون متعلقاً بحجة سواها . فلما كشفنا عن اسرارنا القناع وطناً انفسنا على دوام اللعبة فوعدتني انها تشاطرنى الحياة معها كانت ظروفها ووعدها ان لا احول عن هواها ولو اعترضني قوات الارض . وفي نهاية الحديث قالت لي انا اعلم يا ارمان ان ليس عندك مال فلا تظن ان ذلك يغير من حبي لك بل اصدق وابشرك انك ستحرز من المال في وقت قريب ما يفوق تصورك ولكن قل لي هل يشق عليك ان تسافر من هذه البلدة الى بلادٍ اخرى اذا اضطررنا الى ذلك . نقلت اني غير ميل الى كثرة التنقل ايها الحبيبة ولكنني مطيع لامرك فاذا شئت ان اسير معك الى القطب الشمالي او شئت السفر الى وسط مجاهل افريقية فانا اتبع لك من ظلك وارى سعادتي وسروري حيث اكون معك وبقربك . فقبست وقالت اذاً كن على استعداد لاننا ربما اضطررنا الى السفر ولو لم يكن الى اللحين اللذين ذكرتهما . ولما سألتها عن اهل بيتها اجابني انها مقيمة مع والدها الشيخ وانه مريض فلا يخرج من البيت ابداً واما والدتها فقد توفيت من عهد بعيد . فسألتها هل تتحسن ان ازورها في بيتها فاتعرف بابيها واطلبها منه رسمياً . فاظهرت النفور وقالت لا تبيخه من ذلك فانه مريض لا يعي شيئاً بل ربما اذا رآك هناك يداخلك ريب من امرك لانه لا يطيق مشاهدة احد سواي حتى اضطررنا ان نطردهم جميع الخدم من بيتنا وكانت مدة اجتماعي بمرغريت اكثر من ساعتين خلتها دقيقتين وقد سكرت بمذوبة منقطعها ورشاقة حركاتها وبريق عينيها . فلما ارادت الانصراف شعرت بالم الفراق وسالتها ان تبذل جهودها في زيارتي او مقابلتي يوماً فمضت على شفتها

وقالت لا تكن عجولاً أيها الحبيب فلا بد من الصبر الى ان يتم ما اسعى لاقامه
ولي امل عظيم انني لا اتركك طويلاً على جمر الانتظار .

وقضت علينا عدة ايام كانت تزورني مرغريت في بعضها فتخفف من كربي
وتنشطني وتشجيني . اما ليالي فكننت اصرفها على جناح غرقتي كالعادة اراقب
ما رايتها كما ذكرت في اول الحديث وانا اكنم ذلك عن فانتني رغبةً في استطلاع
عملها بنفسي وخوف ان يسوؤها ذلك فتعمد الى اغلاق النافذة وتجرمني تلك المشاهدة
وبعد مرور شهر من تلك المقابلة زارتني مرغريت كهادتها ولكنني رايت في
وجهها شعوباً وعلى هيئتها ملامح الاضطراب وقد ارتسم حول عينيها هالتان
زرقاوان فسألتها بلهفة عن سبب ذلك فقالت انها تشعر بشدة التعب من خدعة
والدها المريض وانه قد اصابته في ذلك الصباح نوبة ازعجتها ولم تزل متأثرة منها .
فجملت اوسيا واتمنى لو اكون بقرها لاساعدها في خدمتها هذه فشكرتني بلطف
على ما ابنت لها ثم غيرت حديثها للعالم فقالت لي انها جاءت لتنهيني الى وجوب
السفر بعد ايام قلائل في اثناء ذلك الاسبوع والحت علي ان اهتم من تلك
الدقيقة في ارساد معداتي ورزم حوائجي والاستعداد التام . ثم خرجت مودعةً
وقالت ربما ترى يا عزيزي ارمان في حالتي ما تخاله سراً ولكنك ستطلع على ذلك
بعد سفرنا بيوم واحد وترى ان غرضي الوحيد تحقيق سعادتنا . ما حيننا فتشجع وكن
صبوراً فقد قاربنا ادراك النهاية

وفي تلك الليلة عينها ذهبت الى الجناح المعهود للمراقبة كالعادة فمضى الوقت
الذي كنت اراها فيه ولم تحضر فقلقت وتمثلت لي خواطر غريبة استولت علي
فدفعني الى الخروج من بيتي فاجتزت الشارع ودخلت الحديقة المحيطة ببيت حبيتي
فبان لي نورٌ ضعيف في غرفةٍ على ركن البيت الايسر . وكان قوة داخلية كانت
تسوقني الى شجرةٍ تقابل تلك الغرفة فتسلقتها بهارة وبلغت اعلاها فاستطعت ان
ارى من النافذة داخل الغرفة ولكنني ماكدت اجيل نظري حتى عرتني قشعيرة
فشعرت ان الدم قد جد في عروقي وكدت اسقط الى الارض لو لم تصب يداي

بنوبة تشنج جعلتهما تقبضان على الاغصان بشدة . واستعملت قوتي العقلية فلكت روعي ورأيت ذلك الرجل الهرم ابا حبيتي ملقى على ارض الغرفة لا حراك به فكأنه كان قد لفظ نفسه الاخير منذ دقائق قليلة فقط وكان الموت قد اعار هيئته منظراً قبيحاً مخيفاً فغارت عيناه تحت اجفانه المفتوحة وظهرت في وجهه بقع زرقاء مائلة الى السواد وانفتح فوه . وبينما انا اراقب هذا المنظر اذا بفاتتي مرغريت قد دخلت كاللبوة الفاقدة اشبالها فاهسرعت الي الجثة فرفعتها بين يديها كطفل صغير ثم نقلتها الى امام مكتبة فاجلسها على كرسي وجعلتها على هيئة توهم الناظر ان الرجل جالس يكتب وقد ادار ظهره الى الباب بحيث لو رآه احد من الخارج لما شك في انه حي يكتب . ولما اتمت كل ذلك تركت المصباح بجانب الجثة وخرجت من الغرفة وقد تركت بابها مفتوحاً . وما كادت تغيب من الباب حتى رايت فتى في زهرة الشباب قد انسل من باب آخر وخرج ورآها ثم سمعت صوتاً يصم الآذان وسدل السكوت بعد ذلك حجاباً على المنزل . اما انا فاعتراني خوف شديد ان يعلم احد بوجودي في مخبائي وكان حيي لمرغريت يوحى الي ان ادخل البيت لارى ما حل بحبيتي واساعدها اذا كانت في حاجة الى مساعدتي ولكني رأيت من الصواب ان انتظر فنزلت من مكاني بغاية الاحتراس وعدت الى بيتي لعلني اتمكن من معرفة شيء من الجناح . وما كدت اضع يدي على قفاحة باب الجناح حتى شعرت بشيء قد رُمي اليه فلطم خشب الباب وسقط الى الجناح . ولما فتحت وجدت هذا القفاز وعلمت ان حبيتي قد رمت به الي لغاية لا ازال اجعلها حتى الآن ولم يكذبني ظني لاني ما عمت ان رايت نوراً اضاء تلك الغرفة وبانت في وسطها مرغريت في اجمل هيئة وقد وقفت بجانب المائدة واستندت اليها باحدى ذراعيها . وكانت ملامح الانفة والكبرياء مرسومة على وجهها فحاولت ان استلفت انتباهها الي لأسألها عما اذا كان يمكنني المداخلة لمساعدتها في شيء ولكنها لم تنبه الي وقد جحظت عينها الى جهة باب الغرفة . ثم رأيتها قد اضطربت شديداً وارتجفت جسمها فمدت اليد الاخرى الى الامام إشارة التهديد

وسمعتها تقول بصوت الأمر قف مكانك واياك ان تُتقدم خطوةً واحدة . ثم سمعت صوت رجل يقول انني اعيد عليك ما قلته الآن فطاوعيني وهذه آخر فرصة ممكنة لك اذا شئت . فقالت بصوت يكاد يخنقه اليأس والغيظ اما وقد فقدت الشرف والمال فلا فإذهب من وجهي وتلغتك السماء وتقطع جبل حياتك وسعادتك كما قطعت جبل سعادتي . فقال ما لنا ولهذا الكلام والآن افلا تزالين علي اصرارك . قالت اني لن احول عن عزمي فافعل ما شئت . وللحال سمعت وقع اقدام يقال الرجل مخاطباً القاديين الجدد دونكم واياها فاقبضوا عليها ولكن بلطف . لان الحكومة تود اخذها سليمة لتتمكن من الحصول على اقرارها . وقبل ان تتمكن من مشاهدة القاديين رأيت مرغريت قد ضربت المصباح بكتاب كان بالقرب منها فانطلقاً ثم تبع ذلك لفظ وحركة مشي عقبها صوت طلق ناروي وصيحة شديدة . وبعد بضع دقائق أتى بنور آخر ففتحت فؤادي لدى مشاهدة حبيتي مرغريت . مطروحة في وسط الغرفة والدم يتدفق من صدرها ورايت في يدها مسدساً ودخان البارود لا يزال منتشرأ في الغرفة . فصحت بالرغم عني صيحة يأس وانزعاج لم ينتبه اليها احد لاشتغالهم بما هو اهم وكدت التي بنفسي من على الجناح لاسرع الى تلك الحبيبة المائتة ولكنني توقفت خشية ان يكون في الامر جريمة اعرض نفسي لتهمة الاشتراك فيها فتربصت في مكاني الى ان ينكشف الستار عن هذه الخبآت

ولم يحدث في تلك الليلة شيء آخر سوى تقل جثتي الشيع ومرغريت الى دار الحكومة ثم أقفل البيت وختمت ابوابه بالشمع الاحمر . اما انا فكنت على احرم من الجرم ولم اضع دقيقة واحدة من وقتي عن البحث والسؤال ومراقبة اعمال الحكومة حتى وضحت المسألة وكتبتها الجرائد فعلت من الامر ان مرغريت ابنة المتوفى وانه بعد موت والدتها اقترن بغيرها وله ولد من زوجته الثانية ارسله الى برلين ليتلقى العلوم في احدى كلياتها وبقي هو مع مرغريت لتعتني به ويعتني بها . ثم اصابه مرض اضعف قواه والزمه البيت ورأى في اثناثه ان مرغريت تتظاهر بالاعتناء به وتخفي تحت معاملتها شيئاً لم يخف على فطنة الرجل فجعل احياناً يتناوم.

ليراقب حركاتها فرأها يوماً فتحت مكتبته واخذت تلو وصيته الاخيرة فاذا به قد خصص لمرغريت مالا يزيد عن مئتي ليرة وترك الباقي وهو ينيف عن بضعة آلاف من الليرات لابنه المذكور . وراى الرجل ان مرغريت تتلملل عند قراءة هذه الوصية وقرأ في هيتها ما نوت ان تفعله فتظاهر بالضعف الشديد وعدم المقدرة على الحركة . ثم افتقد يوماً الوصية فلم يجدها وتسلل ليلة الى غرفة مرغريت فرأها كما رايتها انا جالسة الى المائدة تكتب اوراقاً وتزقها ولقر به منها تمكن ان يعرف ماذا كانت تفعل وانما كانت تجتهد في تقليد كتابته لتغير الوصية فحرم الولد من مال ابيه وتساثر بالتركة وحدها . واغتمم الرجل خروج مرغريت يوماً فارسل استدعى ابنة من برلين واوصاه ان يصل اليه بدون ان يعلم به احد . فلما جاء اطلمه على تلك الامور واوصاه بمراقبة مرغريت والمحافظة على صورة الوصية الاولى فكان الفتى يختفي في واحدة من غرف ذلك البيت الكبير ويراقد ما يجري بدون ان يشعر احد بوجوده . ولم يعلم احد كيف كانت وفاة والد مرغريت وهل ساعدت القضاء في تقريب اجله او ان حياته انتهت انتهاءً طبيعياً ولكن ظهر مما فعلته اذ اجلسته على كرسي مكتبته انها تود اخفاء خبر موته الى ان تكون غادرت البلدة بالوصية الجديدة وما جمعه من الاوراق المالية والصكوك . وان الفتى لما تبعها حال خروجها من غرفة الميت واظهر لها نفسه اخذ منها الخوف كل ما أخذ وكادت تقع ميتة ولكنه لطفها واخبرها انه مطلع على جميع ما جرى ونصح لها ان تأخذ ما يكفيها لسفرها وان تغادر البلدة في تلك الدقيقة قبل ان تقبض عليها يد العدالة فأبته وهددها فاصرت فتركها ريثما يستدعي رجال الشحنة فاعتنمت هذه الفرصة وعادت الى غرفتها فرمت اليه هذا القفاز ولا شك انها كانت بذلك ثاديني ولعلها كانت تود ان تخبرني بشيء فلم تتمكن من ذلك لرجوع الفتى في الحالة التي وصفتها وحدث ما حدث

وهكذا تم الامر فاستولى الفتى على جميع مال ابيه بعد دفن الجثمان . وبلت انا من ذلك الحين كسير القلب موجع الفؤاد على وميض كدت احسبه تورسعادة

فوجدتهُ برقاً خلباً وسراباً غراراً • وقد حفظت بعض اوراق من خط مرغريت في هذا الدرج ووضعت معها القفاز الذي تراه ولا ازال من حين الى آخر اراجع في تخيلتي هذه الحادثة فلا املك نفسي من الحزن والاسف • وانا اود ان اعلم هل فعلت مرغريت ذلك حباً لي حقيقةً لتنبلي ذلك المال بعد ان ترثه وتعيش معي سعيدة كما قالت او كانت تحسجّ بذلك سعيّاً وراء غاية لا اعلمها • وهذا ما لم اقدر على حله فلا ازال في غمٍّ وحزنٍ عظيمين

قال الراوي وكنت اسمع حديث صديقي ارمان وانا في غاية التأثر وكنت قد اخذت القفاز بيدي اقلبه بين اصابعي فلما انهي حديثه رأيت ورقة صغيرة سقطت من داخل القفاز ورأى ذلك ارمان معي فهجم عليها كالذئب الضاري وفتحناها معاً فاذا فيها ما يأتي « يا املي ارمان — اني ارتكبت امرأً فظيماً وما ذاك الا لاني لا سعادة لي بدونك ولا سعادة لك بي ان لم يكن لديك من المال ما يسد حاجتك فقد فعلت ما فعلته لانيك المال مع قلبي ولكن خاب مسعاي ففقدت شرفي وسعادتي • فتسخط عليّ اذا شئت او سامعني اذا كان في قلبك ما يدلك اني ولو اخطأت فانما فعلت ما فعلت لاجل حبك »

فما كاد يتم تلاوة هذه الاسطر حتى تحدرت دموعه وشرق بالبكاء ثم اكب على الرقعة يقبلها ويفسل القفاز بدموعه • وعلنا انها رمت اليه به في تلك الساعة الحرجة لتوصل رسالتها هذه وقد كتبها حين ذهب الفتى لاحضار الشرطة ولم ادع شيئاً مما استطعت اليه السبيل لتعزية ارمان وتسلية وكان ينظر اليّ نظرة الصديق المحب ويقول قد اعلمتني باكتشافك هذه الرسالة ما شغل افكاري اياماً طويلاً فاشكرك ايها العزيز ولا اشك ان الله قد ارسلك لتجبر قلبي الكسير ولا ازال ازور ارمان ونحن كلما اجتمعنا نذكر تلك الحادثة بتأثر شديد ولا يزال محافظاً على القفاز والرسالة محافظته على حياته